مجلة المختار للعلوم الإنسانية 39 (4): 1092-1111، 2021

Research Article

Open Access

الفلسفة بين الحرب و السلام أثينا (Athena) ضد آريس (Ares)

عبدالله علي عمران سعد

قسم الفلسفة، كلية الآداب، جامعة عمرالمختار

Doi: https://doi.org/10.54172/0mxe4m47

المستخلص: يهدف البحث إلى تسليط الضوء على ظاهرة الحرب، لتتبع النظريات الفلسفية، التي شكلت إطار نظريا لها، و ما هو موقف الفلاسفة منها، حيث تمثل أكثر الظواهر تأثيرا في تاريخ البشرية، لدرجة أن البعض يعزوا لها التطور العلمي و الارتقاء الأخلاقي و السياسي، و هي أيضا أكثر أشكال التنافس الإنساني شراسة، لكونها تقصي أحد طرفيها، بشكل نهائي، مما يعني ضرورة وجود مبرراتٍ قوية، لكي يقدم عليها، و لقد ساهمت الفلسفة بشكل بارز -إضافة للمبررات الدينية التي لا تقع في سياق البحث- في تبرير العديد من الحروب، و كان للنظريات الخاصة بالحرب، حضورا كبيرا في تاريخ الفكر الفلسفي، و الواقع الراهن، يفرض على الفلسفة، فحص تلك المبررات، لمعرفة حجم المساهمة، التي يمكن أن تقدمها، سواء في تبرير الحرب، أو توطيد السلام.

الكلمات المفتاحية: فلسفة، حرب، سلام.

Philosophy Between War and Peace (Athena) vs. (Ares)

Abdallah Ali Omran Saad

Department of Philosophy, Faculty of Arts, Omar Almukhtar University

Abstract: This research aims to shed light the on the occurrence of war, to trace philosophic theories, which formed a theoretical framework for it, and what is the position of philosophers, where they represent the most influential phenomena in the history of mankind, to the extent that some attribute to it scientific development and moral and political advancement, which is also the most ferocious form of human competition, because it investigates one of its parties, once and for all, which means the need for strong justifications, to be presented, and philosophy has contributed prominently - in addition to religious justifications that do not In the context of research - in justifying many wars, war theories have had a great presence in the history of philosophical thought, and the current reality, requires philosophy to examine those justifications, to see how much contribution they can make, whether in justifying war, or consolidating peace.

Keywords: : philosophy, war, peace.

The Author(s) 2023. This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/) , which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium ,provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

مقدمــة:

وفقا للميثولوجيا اليونانية، فإن (آريس Ares) آلهة الحرب، هو الأخ الشقيق لـ(أثنيا Athena) آلهة الحكمة، و لعل الدلالة رمزية، من وراء ذلك، أن الحكمة و الفلسفة، و الحرب و القتل، شقيقان، يولدان من رحم ذات البيئة، فمثلما أنجبت (هيرا) إله الحرب(آريس) يمكنها أن تنجب آلهة الحكمة (أثينا) أيضا، هما نتاج نفس الظروف، أو أنهما متلازمان، فنكون أحوج ما نكون للعقل، عندما نكون في حالة حرب، أو على الأقل في حالة كراهية، لكي نمنع حدوث الحرب أو نقلل خسائرها أو نضع نهاية لها في حال نشوبها.

و عندما نعرض أراء الفلاسفة في الحرب، فنحن نتجاوز-دون أن ننفي- وجهة النظر التي ترى أن الحرب لا عقلانية، و بالتالي لا وجود لصلة بين الحرب و الفلسفة، و ننطلق من وجهة النظر التي ترى بوجود صلة بين الحكمة و الحرب، استنادا إلى تاريخ الفلسفة، لكونه مليء بالتصورات التي وضعت للحرب، بين مؤيد و معارض، بين مؤجج لها و مناد بالسلام، و كالعادة، هناك بينهما تصورات أخرى، فهذا يضع لها شروطا، و ذلك يحدد لها مهاما، و لقد حاول الفلاسفة بمختلف توجهاتهم، فهم طبيعة و إشكاليات الحرب، من مفهوم (هيرقليطس) للحرب بوصفها (أبا لكل شيء) إلى أطروحة (كانط) في السلام الأبدي، مرورا بحرب (هوبز) التي تدور رحاها بين الجميع، و طرحوا العديد من الأسئلة، فهل الحرب تعتبر مدرسة للفضيلة، أم بؤس و دمار، و ما هي أسبابها، و متى تكون الحرب عادلة، و كيف يكون السلام ممكنا؟ و تعم الأخوة العالمية.

بشكل عام، لقد حاولت من خلال هذا البحث، تتبع النظريات الفلسفية التي شكلت حول الحرب، في إطار (تاريخي) من جهة، لمعرفة هل ثمة تطور في رؤية الفلاسفة للحرب؟ أم أن هناك عوامل أخرى، أثرت سلبا أو إيجابا في تلك النظريات، مما حال بينها و بين أن تسير في سياق واحد، من خلال مقارنتها ببعضها البعض، و فقا للسياقات التاريخية التي وجدت فيها، و من جهة أخرى لمعرفة مدى الارتباط بين الأطر النظرية و الفلسفية للحرب، و بين واقع الحروب و التغيرات السياسية، و هل هناك صلة حقيقية بينهما؟ و أيهما يتبع الآخر؟ هل واقع التغيرات السياسية و الحروب، هي التي تشكل النظريات الفلسفية؟ أم العكس؟

المبحث الأول- الصلة بين الفلسفة و الحرب

أولا- هل الحرب مشكلة فلسفية

إن وصف الحرب بأنها مشكلة فلسفية، رغم بداهته، إلا أن البعض قد يجادل فيه، و لكن ذلك لا يبدو منطقيا؛ أليست الحرب (مشكلة)؟ كأي مشكلة أخرى تتناولها الفلسفة؟ فما الذي يجعلها استثناء من ذلك؟ و لعل الأمر يبدو غريبا، لأن هناك من ينظرون إلى الفلسفة، على أنها تتعامل مع الأفكار العقلية و المنطق و المفاهيم المجردة، بينما الحرب همجية و وحشية و ملموسة، و بعيدة عن العقل، و كل هذا يمكن الرد عليه، فحتى لو تركنا الأمور الأخلاقية و السياسية، التي تتصل بالفلسفة و الحرب، فإن الفلسفة تهتم بالحياة و الموت، إضافة إلى تأثير الفلاسفة على السياسيين حتى دون أن يدروا (Moseley, 2002, p 5).

و مشكلة الحرب و السلام هي المسألة الأساسية في ألأزمنة الحديثة، ففي عصر الصواريخ و الأسلحة النووية و الهيدروجينية، أصبحت مسألة حياة أو موت بالنسبة لملايين الأبرياء (روزنتال & يودين، 1997، ص 178). فالحرب لارتباطها بالخوف و اليأس و الموت، تعد في صميم المشاكل الإنسانية، و بالتالي في صميم اهتمامات الفلسفة، و خاصة الفلسفات المعاصرة، التي ركزت على الإنسان.

من ناحية أخرى، لابد أن تمارس الفلسفة دورها النقدي، على مشكلة الحرب، و يبدأ الفحص الفلسفي للحرب، من خلال طرح أسئلة عامة جدا، ما هي الحرب؟ ما هي العلاقة بين الطبيعة البشرية والحرب؟ إلى أي مدى يمكن القول بأن البشر مسئولون عن الحرب؟ هل يمكن الحيلولة دون وقوعها، و لذلك لفتت الحرب انتباه الكثير من الفلاسفة، بدءا من (أفلاطون) وصولا إلى (رسل) و كان تفكيرهم منصبا على معرفة أسبابها، و كيف نخوضها، هذا ما إذا كان يجب أن نخوضها أصلا،(Moseley, 2002, p 1) . بالنسبة للفيلسوف هناك مظهران للحقيقة الأخلاقية فيما يتعلق بالحروب، فعليه أولا أن يحكم على أسباب الدخول في الحرب، و عليه أيضا أن يحكم بوضوح على وسائل خوضها(دورتيي، 2009، ص 229). فالحرب مشكلة فكرية، تحتاج إلى الضبط و التوصيف، من خلال طرح الأسئلة، و هذه مهمة فلسفية بامتياز

و لقد قدمت الفلسفة عبر تاريخها مقاربات أساسية لمسألة الحرب، منها المقاربة الميتافيزيقية، التي ترى الحرب جزءا أساسيا من الوجود الإنساني، و هو ما ذهب إليه (هيرقليطس) و (نيتشة) و (هيدجر)، و المقاربة السياسية التي اعتبرت أن الحرب فعلا سياسيا أو وسيلة سياسية مشروعة، و هو ما بينه (مكيافيللي) و (هوبز) و (ماركس) و (فوكو)، أما المقاربة الأخلاقية و القانونية، التي نجدها عند فلاسفة العصور الوسطى و المعاصرة، أمثال (أوغسطين) و (أيجو جروتيوس) و (ميخائيل ولزرا) و بذلك تكون الفلسفة ركزت معالجتها لمسألة الحرب، على علاقة الحرب بالوجود الإنساني و بالسياسة و الأخلاق و القانون، و إن كانت الفلسفة القديمة، لم تحل مسألة الحرب مباشرة، فإن فلسفة العصور الوسطى ربطتها باللاهوت، و لكن الحرب أصبحت بعد ذلك محورا أساسيا في الفلسفة الحديثة و المعاصرة، خاصة بعد التحول النوعي في طبيعة الحرب، من حرب كلاسيكية إلى حرب نووية(بغوة، 2007، ص 53).

ثانيا:– لا عقلانية الحرب (الحرب هي الجحيم)

القول بأن الحرب شأنا فلسفيا، تقابلها وجهة نظر مضادة، تعتبر أن الحرب(لا عقلانية) و لا تخضع لأي تنظير فلسفي، سواء كان سياسيا أو أخلاقيا أو إنسانيا، في حالة الحرب لا وجود للقانون و لا لأفكار الصواب و الخطأ أو العدل و الظلم، لا وجود للملكية، للتميز بين ما هو لي و ما هو لك، فهي تحدد بكل ما يستطيع الإنسان الحصول عليه، إن القوة و الغش هما الفضيلتان الرئيسيتان في الحرب(هوبز، 2011، ص 153). بمعنى آخر –وفقا للتصور الواقعي– لا توجد صلة بين الأخلاق و الحرب، و تنطلق هذه الرؤية، من أن هذه هي حالة العالم (حالة الحرب)، و أن السعي وراء القوة–وليس الأخلاقيات– هي ما يحرك رجال الدولة في تصرفاتهم في المجال الدولي(فيشر، 2014، ص 55). للحرب منطقها الخاص، الذي لا يمكن للفلسفة أن تؤطره أو تتنبأ به أو تنظمه، الحرب تخوضها الدول و يتبناه الساسة.

و بناء على ذلك، يبدو حديث الفلاسفة عن الحرب، و كأنه أمرا سخيفا و سطحيا، فالحرب الحديثة تخوضها الدولة العملاقة، تلك التي تمتلك ترسانة هائلة من الأسلحة، و قوة مروعة، مما يجعل التحليل الحجج الفلسفية أمرا لا يتطابق مع وحشيتها، من جهة أخرى، عادة ما تندلع الحروب في ظروف استثنائية مشحونة و متوترة، تسيطر عليها مشاعر الحقد و الخوف و الانتقام و الكراهية و العنف، و هي مشاعر عندما تسيطر على الإنسان، يكون تأثير الفكر عليه ضئيلا جدا بكل أسف(Bird, 2006, p 223) . إن الحرب هي الساحة التي تتصارع فيها العواطف و الأهواء الإنسانية، فأي مكان فيها للعقل و الفلسفة؟

الحرب هي الجحيم، و هو مبدأ يرتبط بأحد قادة الحرب الأهلية الأمريكية، و هو (شيرمان) و هو الذي قامت قواته بأعمال وحشية ضد عدة مدن، و رغم احتجاج قادة آخرين، إلا أنه برر أفعال قواته بالقول "إن الحرب هي الوحشية ذاتها فلا يمكن تنقيتها" فالحرب عندما تندلع، يكون لها منطقها و مبرراتها، و لا تخضع للضوابط الأخلاقية. و هذه هي وجهة نظر الواقعية، فالسماح لتدخل الاعتبارات الأخلاقية، يتعارض مع تحقيق النصر، مما يعني تأخر السلام، و هذا غباء و يتعارض حتى مع العقل، ففي الحرب تتوقف الأخلاق و لا يبحث القائد العسكري سوى عن النصر (فيشر، 2014، ص ص 48-50). الأخلاق تكون قبل انطلاق الحرب و بعد أن تنتهي أما خلالها فلا وجود للأخلاق الحرب جحيم بالنسبة لضحاياها كما يرى شارلمان(دورتيي، 2009، ص 229).

الحرب مجرد مفارقة، وفقا لتصور (نيتشة)، حيث يبدو القادة العسكريون، أكثر وحشية في إعطاء الأوامر، لأنهم لا ينفذونها، و لا يعايشون ما يترتب عليها، كذلك الجنود ينفذون تلك الأوامر بكل وحشية، رغم معايشتهم له، و لكنهم لا يشعرون تجاه ما يحدث بأي مسئولية، لأنهم ينفذون أوامر من هم أعلى منهم، هذه هي معادلة الحرب، من يصدرون الأوامر لا يعايشون و من ينفذون لا يشعرون بالمسئولية(نيتشة، 2002، ص 66).

يخلص أنصار هذا الرأي إلى أن الحرب نتاجا مجتمعيا، و بالتالي لا يمكن أن نلغيها بقرار عقلي من طرف واحد، فقرار السلام يجب أن يكون جماعيا، و لقد ساعد تطور الاقتصاد و التبادل المشترك للمنفعة في تقليص الحرب، و لكن ثقافة الحرب تبقى أعمق من ذلك، و الحرب ظاهرة ثقافية، و لا تخضع للحتمية، نحن من نفتعلها و نحافظ عليها، فالدولة التي تحتكر المؤسسات التعليمية و الاقتصادية و تكبح الحريات، هي في الحقيقة ترسخ للحرب. الحرب شأنها شأن أي ظاهرة اجتماعية غير قابلة للتفسير أو الاختزال في سبب واحد (الطبيعة التنشئة أو غيرها) لكونها تؤدي العديد من المهام (Moseley, 2002, p 3-12). بل إن القلق عم الوسط الفلسفي أثناء الحروب العالمية، و لم تستطع الفلسفة التنبؤ بالكارثة، لم لم تستخلص منها حتى الدروس المستفادة(كومبان، 2015، ص 84).

ثالثا- جدلية التأثير و التأثر بين الفلسفة و الحرب

1- الحرب و أثرها على الفلسفة

يمكن القول بشكل عام، أن الفلسفة تتأثر بالحرب، كما تؤثر فيها، و يبدو جليا، أن الفلاسفة ينظرون إلى الحرب في سياق العصور التي عاشوها، بل قد تكون الحرب أو العدوانية الإنسانية، هي الدافع إلى فلسفتهم أساسا، و هو ما ينطبق على فلاسفة أمثال (أوغسطين) و (هوبز) و (روسو) و (مكيافيللي)، و إن كان الفلاسفة المعاصرون أكثر مرونة و تحررا في تناولها (Moseley, 2002, p 2). أي أن الفلاسفة تأثروا بالحروب التي كانت في عصورهم

و لا ريب أن الحرب (البلبونية) الكارثية، قد أثرت في رأي أفلاطون السيئ عن الديمقراطية الأثينية، كما أن احتلال (الألاريكيين) لروما، جعل (أوغسطين)، يكتب (civias dei) (مدينة الله)، أما ريبة (مونتاني) فقد عززتها الحروب الدينية في القرن 16، و الحرب الأهلية في انجلترا في القرن 17 وهبت (هوبز) كتابه (التنين) المثير للمشاكل. و لقد جعلت الحرب العالمية الأولى-شأنها شأن الحرب العالمية الثانية و الحرب الباردة- الفلسفة أكثر وطنية، كما جعلت الفروق بين الموروثات القومية في الفلسفة أكثر أهمية، حيث عملت النزاعات القومية و الأيديولوجية، على عزل المدارس الفلسفية، و حتى رغم إقامة مؤتمرات فلسفية، إعادة جو النقاشات الودية، فإنها لم تفلح في إعادة مناخ نقاشات القرن 19، مما جعل اليوتوبيا الرواقية الخاصة بعالم الفلاسفة السلمي محض خيال(هوندرتش، 2005، ص ص 282، 283). كل هذه الأمثلة، تؤكد أن هناك مدارس و نظريات فلسفية، تكونت إبان الحروب، و كانت تعبيرا لها.

2- مشاركة الفلاسفة في الحروب

في المقابل، فإن الحرب قبل كل شيء، فكرة، بغض النظر عن منطقيتها من عدمها، و تتحول بعد ذلك إلى فعل، و تجسد ذلك في قول (أندرو ريك):بأن الثورة الأمريكية، هي آراء المناضلين و إن عبروا عنها بلغة البنادق(كاز، 1983، ص 11). و بالتالي فإن الحرب ليست طبيعتنا، بل معتقداتنا و أفكارنا هي التي تدفعنا لشن الحرب، (Moseley, 2002, p 2). بل و لذات السبب يرى (بوبر) أن المثقفين يتحملون مسؤولية الحروب و المجازر، فهي من صنع أيديهم و ابتكارهم، فالقتل الجماعي باسم فكرة أو عقيدة، نظرية، أو دين، كل هذا من صنع أيدينا(نحن المثقفون)(بوبر، 1990، ص 230). و هو بذلك يؤكد الصلة الوثيقة بين أفكار الفلاسفة و المفكرين و المثقفين، و بين الحرب، حيث عادة ما يشاركون في تأجيجها.

و في ذات السياق، يطرح (كانط) تمييزا حاسما، حيث يميز بين الفلاسفة و المفكرين، الذين يؤلفون كتبا عن الحرب، و يقترحون حلولا لقضايا العالم، و بين البيروقراطيين الذين تقع على عاتقهم مسؤولية التعامل معها على أرض الواقع (فيشر، 2014، ص 13). فالفلاسفة (الساسة النظريون) و الساسة بأنهم (الساسة العمليون)، يكملون بعضهم بعضا، و لذلك يطالب (كانط) بعدم التعنت من طرف الساسة، ضد الفلاسفة(كانط، 1952، ص 23). لابد أن يضمن الملوك و الشعوب استمرار طبقة الفلاسفة و تتيح لها حرية التعبير عن آرائها بكل صراحة، لأن ذلك فيه إبانة لشؤونهم و هداية لسبيلهم (كانط، 1952، ص 86). و هذا التكامل، أصبح ضرورة و لم يعد ترفا، من وجهة نظر (رسل) فتطابق الأخلاق و السياسة أو الفلسفة و السياسة، أمرا أصبح لابد منه، لأن بقاء الجنس البشري، أصبح يعتمد على هذا الاتفاق، لكون البشر، أصبح لديهم القدرة على فناء أنفسهم لو استمرت انفعالاتهم(رسل، 1960، ص 139).

و لكن ليس بالضرورة أن تكون مشاركة الفلاسفة إيجابية، بل قد يرسخون الحرب، و قد أسهم العديد من الفلاسفة، بأفكارهم في تأييد الحرب، و يمكن الاستشهاد بأمثلة من الحرب العالمية الأولى، حيث كان للفلاسفة دورا مهما، فقد أسهموا بتأويلات ميتافيزيقية كبرى، لأهداف الحرب عند أممهم. ففي ألمانيا قام فلاسفة أمثال (بول ناتورب) و (ماكس شلر) و (جورج سمل) و آخرون كثر، بالمشاركة في نصيبهم من أجل الوطن، حيث قاموا بتوكيد قيمة الحرب، بوصفها خبرة وجودية، كما تم توظيف كل الموروث الفلسفي الألماني في الحرب، فقد تحولت عبارة "ابعثوا (فختة) إلى الخنادق" إلى كلمة سحرية، شأنها شأن عبارة (برجسون) "لم يكن للفلاسفة الفرنسيين أن يهزموا". كما ترتب على الحروب نتائج وخيمة على الفلسفة، حيث كانت الهيجلية مكرسة تماما في بريطانيا، إلى أن قامت الحرب، فأصبح كل ما يصدر عن العدو محل شك(هوندرتش، 2005، ص ص 282، 282) .

و قد يشارك الفلاسفة في الحرب فعليا، فعندما اندلعت الحرب الألمانية الفرنسية، تقدم (نيتشة) بطلب إجازة من الجامعة، حيث كان يشغل كرسي الحضارة اليونانية، ليلتحق بالجيش الألماني (جندي ممرض) حيث كان يجمع الجثث و يعتني بالجرحى، حتى أصيب بمرض منعه من مواصلة تطوعه، أما (هيدجر) فقد تطوع خلال الحرب العالمية الأولى ساعيا للبريد و عاملا للأرصاد في الجيش الألماني، و خلال الحرب العالمية الثانية، تطوع خلال حملة (انتفاضة الشعب) قبل نهاية الحرب، و بعد استسلام ألمانيا عرض هيدجر على لجنة (تطهير النازية) و أوقف عن العمل بجامعة (فرايبورج) لمدة أربع سنوات(هنا، 2007، ص 38).

و لهذا السبب دفعت الكثير من التيارات الفلسفية الثمن، فالحربان العالميتان اللتان خاضتهما إنجلترا ضد ألمانيا، في النصف الأول من القرن العشرين، و ما ترتب عليهما من تضحيات بشرية، و خسائر مادية، قد تركت في نفوس عدد كبير من الإنجليز، حتى لو كانوا من أهل الفلسفة، نفورا شديدا من الفكر الألماني، و لاسيما تجاه أولئك الذين قيل عنهم أنهم شجعوا الروح العسكرية الألمانية و تغنوا بأمجاد الدولة و العنصر الجرماني. و هكذا كان هناك جيل كامل من المشتغلين بالفلسفة في انجلترا بل في الثقافة الأنجلوسكسونية عموما، يتحامل على (هيغل) لتمجيده بروسيا، و يهاجم (نيتشة) بعنف، بناء على تفسير خاص، لمفاهيم الحرب و الصراع و إرادة القوة(رسل ج2، 1990، ص 10).

المبحث الثاني–الفلسفة بين تبرير الحرب و الدعوة للسلام

لم يعد هناك مجال للشك، على الصلة الوثيقة، بين الفلسفة و الحرب، و على الدور الذي يلعبه الفلاسفة في الحروب، و بما أن الصلة وثيقة بين الحروب و السلام، فبطبيعة الحال، سيكون كل حديث عن التأثير في الحروب، هو حديث عن التأثير في السلام، و بشكل عام انقسم الفلاسفة بين مؤيد للحرب و مؤجج لها، و بين مبرر لها على أنها أمر واقع، و بين رافض لها منادٍ بالسلام، و يختلف موقف كل منهم، حسب طبيعة الحرب نفسها، داخلية أو خارجية، دفاعية أو هجومية، ضرورية أم انتقامية، هذا مع التأكيد على أن اختلاف العصور، يؤثر على طبيعة الحروب، فالحروب بالسيوف تختلف عن حروب البنادق و تختلف عن حروب القنابل النووية.

أولا– الفلسفة و تبرير الحرب

1- حتمية الحرب (الحرب لا تنتهي)

تعد (حالة الطبيعة الأولى) من أشهر الأفكار، التي تبناها عدد من الفلاسفة، أشهرهم فلاسفة العقد الاجتماعي، أمثال (لوك) و (روسو)، و ذلك للتأكيد على فكرة (حتمية) الحرب، أو (فطرية) الصراع، و ترسخه في الطبيعة الإنسانية، و يعد (هوبز) من أبرز من روجوا لهذه الفكرة، معتبرا أن الناس لا يستمتعون بل يحزنون بسبب رفقتهم لبعضهم، مما يجعلهم في حالة حرب دائمة، حرب الإنسان ضد الإنسان الآخر (هوبز، 2011، ص 133). و أشار (كانط) إلى ذات الفكرة، حين اعتبر أن حالة السلام بين الناس، ليست هي الحالة الفطرية، بل إن الحرب، هي الأقرب إلى الحالة الفطرية؛ فهي إن لم تكن معلنة فعليا، فهي حالة من العدوان و الخوف و التهديد الدائم(كانط، 1952، ص 39).

و قد لا يكون تبرير الحرب مباشرا و صريحا، كما هو عند (هوبز) و (كانط)، بل قد يكون من خلال استبعاد فكرة السلام، و ذلك لكونها خيارا بعيد المنال، و هو الشكل الذي تورط به فيلسوفان كبيران من فلاسفة السلام، فنجد أن (رسل)، يعتبر إن تحقيق الرضا للجميع، يبدو و كأنه أمرا سهلا، لمجرد وجود رغبة في ذلك، و لكن الأمور تختلف في العالم الحقيقي، فمصدر التصرفات كما نجدها في التاريخ و الوقت الحاضر، إلى حد كبير من النوع الذي يتطلب هزيمة الآخرين، لأن هناك حب القوة و التنافس و الحقد و أخشى أن هناك أيضا لذة في مشاهدة الناس تتألم. إن دراسة التاريخ منذ بناء الأهرام حتى يومنا الحاضر، ليس فيه ما يشجع أي شخص تحدوه العواطف الإنسانية (رسل، 1960، ص ص 137 ، 138).

أما (بوبر) فإن فهو يبرر الحرب، في سياق حديثه عن السلام، الذي يطالب بأن هو هدفنا الأول، حتى و إن كان صعب المنال، في عالم يحكم فيه الأشرار، و لذلك يجب أن لا نفزع من الحرب، فهي التي ستقودنا إلى السلام، و التي لا يمكن تجنبها في ظروفنا الحالية، فهو أمر مؤسف و لكننا مضطرون لها إذا أردنا أن ننقذ عالمنا، فهي ضرورة لمنع انتشار الأسلحة النووية(بوبر، 1998، ص 297).

و يمكن القول بشكل عام، أن الإشكالية الأساسية، التي واجهت الفلاسفة، و هم ينادون بالسلام، أن القضاء على أسباب الحرب، أمرا عسيرا، يرتقي إلى الاستحالة، نظرا لتعدد أسباب الحرب و تنوعها، و تأتي فكرة (الصراع-التنافس) على رأس الأسباب التي تؤدي إلى الحرب، حيث يرى (ماركس) أن المنافسة هي التي تسبب التعاسة و الحروب(ماركس، 1967، ص 154). و هو ما يؤكده (رسل) حين اعتبر أن التنافس بين الجماعات المنظمة هو سبب الحروب(رسل، 1960، ص 137).

و هذا التنافس، يرجع أساسا لوجود الاختلاف، لكونه لا يمكن أن يحدث بين المتشابهين، و بالتالي فالعناصر الأساسية التي تضمن قيام الحرب و استمرارها و تطورها هي اختلاف الأعراق و اللغات و اختلاف القوة و البأس و الطاقة و العنف و اختلاف الوحشية و البربرية و غزو و استعباد عرق لعرق آخر، كما يمكن أن تتحول إلى حرب طبقات، حيث ينقسم العرق نفسه إلى عرق أعلى و عرق أدنى(فوكو، 2003، ص ص 79، 80).

و تعد الخلافات الدينية و استياء الملوك على الحكم، هما من أهم أسباب نشوب الحروب، و التي لا تكون غالبا من أجل الحرية و السلام، بل من أجل العظمة(أسبينوزا، 2005، ص ص 414 ، 415). كما عرف التاريخ تماهيا بين قيم الحرب العسكرية و بين القيم الدينية، و بالتالي تم تبرير بعض الحروب دينيا بوصفها حروبا عادلة(Langan, 1984, p 19). و قد تنشب الحرب بسبب الصراع القائم بين الطبقات، بين (البروليتاريا) و (البرجوازية) و هو صراع و إن كان صراعا اجتماعيا، و لكنه أيضا هو المحرك لأي حراك سياسي. (ماركس، 1967، ص 180) و قد تكون الحرب شكلا من أشكال التفريغ و الإضعاف للقوى، كما حدث في الحروب الصليبية، عندما تم الزج بالنبلاء فيها، فبينما هم في القدس، كان الملك و الكنيسة و الارستقراطية القديمة تتلاعب في القوانين التي تسمح بنزع ملكية النبلاء(فوكو، 2003، ص ص 162).

و يمكن تلخيص الأسباب الأساسية للصراع بين الفرقاء، كما يتصور الفلاسفة، في أسباب سياسية تتعلق بالوصول إلى السلطة، أو أسباب دينية، لغرض فرض رأي أو مذهب ديني، أو تكون الأسباب اجتماعية و تؤدي إلى صراع سياسي، وفقا للتصور الماركسي لصراع الطبقات، أو الصراعات الأيديولوجية كما حدث بين الشيوعية و الرأسمالية، و إن كان (فوكو) يعتبر أن كل تلك الأسباب مجرد ذرائع زائف، و أن الحرب باختصار، هي صراع الأعراق و الطبقات لأجل السلطة(فوكو، 2003، ص ص 46).

و هذه الأسباب المتنوعة و المتشابكة، رسخت لدى البعض فكرة مفادها، أن الحرب لا تنتهي، و لا يمكن تحديد وضع ما بعد الحرب، حيث يضرب (لاري ماي) مثلا على العراق، لأن عدد القتلى تضاعف بين الجنود بعد الإعلان عن انتهاء الحرب ,May) 2012, p 2). و المثال ألأكثر وضوحا هي الفترة ما بين الحربين العالميتين، حيث لم تكن سوى مجرد هدنة.

بل حتى التصور الماركسي لنهاية الحرب، كان تصورا مأسويا، فضلا عن كونه مستحيلا، حيث يرى أن الحروب ليست أبدية، و أن الحروب ظهرت بسبب سيادة الملكية الخاصة، و سيادة الطبقة المستغلة. و إن الرسالة التاريخية للشيوعية هي إزالة الحرب و إقامة سلام دائم على الأرض (روزنتال & يودين، 1997، ص 177). و لكن ذلك لا يتحقق إلا بعدما يقود التنافس إلى صدام، و شعاره الصراع أو الموت الاصطدام الدموي أو العدم، و إفناء طبقة لطبقة أخرى (ماركس، 1967، ص 180). أي أن الحرب تنتهي بانتهاء التنوع و القضاء على المنافسين و المغايرين

2- وظيفة الحرب (من رحم الحرب يولد السلام)

و لقد تبنى عدد من الفلاسفة، فكرة أخرى، تعد استمرارية لفكرة (حتمية) الحرب، تتمثل في كون الحرب، ليست شيئا عبثيا، أو حدث لا فائدة منه، بل إن الحرب، حدث مهم و له وظيفة، و تترب عليه العديد من النتائج الإيجابية، فالحرب هي التي تأتي بالسلام، و هي التي يفرض بها القانون، بل و تساعد على التخلص من الأشياء العابرة.

و يعد (هيرقليطس) من أوائل الفلاسفة الذين تناولوا إشكالية الحرب، في هذا السياق، فهو يرى أن "الحرب هي أب الأشياء جميعا" و ذلك في سياق نظريته عن الصراع و الخلاف بوصفهما المبدأ المحرك الذي يحفظ للعالم حياته(رسل ج1، 1990، ص 39). و

بالتالي يمكن اعتباره مؤسسا لنظرية تبرير ضرورة الحرب و حتميتها.و إن أشهر من تبنى هذه الفكرة هو (هيغل) فقد طالب بعدم النظر إلى الحرب على أنها شر مطلق أو حادث خارجي عارض، بل هي حالة تعالج -على نحو ما- تفاهة الخبرات الزمانية، و الأشياء العابرة، مما يجعل الحرب ذات مغزى رفيع، بل هي التي تحافظ على صحة الشعوب الأخلاقية، حين تقف موقف اللامبالاة من المؤسسة المتناهية، لأن فساد الأمم قد يحدث بسبب فترات السلام الطويلة، دع عنك أن فكرة السلام الدائم فكرة مثالية(هيغل، 1996، ص 589).

و سار (فوكو) على ذات السياق، فهو يرى أنه انطلاقا من واقعة الحرب، نستطيع أن نجعل الأشياء في علاقات:الدين و السياسة و العادات و الطبائع، فالحرب ستصبح مبدأ المعقولية و هي التي تجعل المجتمع معقولا. إن الحرب هي الأرضية الحقيقة للخطاب التاريخي، و هذا يعني أن الحقيقة (على عكس الفلسفة و القانون) لا تبدأ عندما يتوقف العنف. و حتى في ضل القانون تستمر الحرب، فالحرب هي المحرك للمؤسسات و الأنظمة، بل إن الحرب هي الوجه الآخر للسلم، و نحن في حرب دائمة حتى وقت السلم(فوكو، 2003، ص ص 170، 171). كما أن السلطة هي الحرب، هي استمرار الحرب بوسائل أخرى، كما السياسة هي استمرار للحرب بوسائل أخرى، إننا لا نكتب إلا تاريخ الحرب، حتى و نحن نكتب عن السلم و مؤسساته(فوكو، 2003، ص 43).

الحرب ليست مؤامرة، بل (قابلة) أشرفت على مولد الدول و القانون و السلم و التشريعات، فقد ولد القانون من الدم و وحل المعارك، و ليست معارك مثالية كما يتخيلها الفلاسفة، فلا يتعلق الأمر بنوع الوحشية، فالقانون لا يولد من الطبيعة، بل في خضم المعارك و من الانتصارات و المجازر، يولد في المدن المدمرة و الأراضي المحترقة، من الأبرياء الذين يحتضرون عندما يطلع النهار (فوكو، 2003، ص 71).

و يمكن القول أن أبرز الفلاسفة الذين التصق بهم تمجيد القوة و الحرب، هو نيتشة، و ذلك في سياق رفضه لكل الأخلاق و خاصة أخلاق المسيحية التي تدعو إلى الذل و الخنوع و الخوف، معتبرا أن الخير هو كل ما يربي الشعور بالقوة و إرادة القوة، و الشر، هو كل ما يأتي بالضعف. و السعادة، هي الشعور بتنامي القوة، إنها ليس الرضا بل قوة أزود، ليس السلام و لا بأية طريقة، لكنما الحرب(نيتشة، 2012، ص 25). و لقد حققت الحرب و الشجاعة من وجهة نظر (نيتشة) من الأعمال العظمى، أكثر مما فعلت المحبة. و حتى السلام نفسه يرى أن محبته، يجب أن تكون بوصفه هدنة، أو وسيلة لحروب جديدة(نيتشة، 2007، ص ص 99، 100).

و لذلك تجده يمجد الطبقة الارستقراطية، و لذلك يرى أن حب الحرب و الميل للقتال هي التي تجلب القوة و هي الصفة المميزة للطبقة الارستقراطية، خلافا لطبقة الكهنة التي تكره الحرب و تميل للضعف و الخنوع(نيتشة، 1981، ص 29). تلك الطبقة الارستقراطية التي شيدت لنفسها أينما كان روائع تاريخية لا يمحوها الزمن سواء في ميادين الخير أو الشر (نيتشة، 1981، ص 36). و يعتبر نفسه أحد أفراد تلك الطبقة، لأنه ذو مؤهلات حربية بطبعه، و الهجوم إحدى غرائزي، و لكي يكون الواحد قادرا على المعاداة أن يكون عدوا يتطلب التمتع بطبع قوي(نيتشة، 2006، ص 31). و إن خلاص البشرية و مستقبلها مرهون بهيمنة القيم الارستقراطية و الرومانية (نيتشة، 1981، ص 46).

إن الحرب، بالنسبة لـ(نيتشة)، هي التي تقوم مقام القانون الأخلاقي، لكونه يعتبر إن أكبر كذبة يقدمها الفلاسفة لمساعدة الكنيسة، هي وجود نظام أخلاقي عالمي. (نيتشة، 2012، ص 77) و أن الحرب و القتال حتى و إن كانت شرا؟ لكن ذلك الشر ضروري، للحسد و سوء الظن و الافتراء. (نيتشة، 2007، ص 80) إن الحرب تجعل المنتصر متبلدا و تجعل المهزوم شريرا، و لكنها تقرب الناس من طبيعتهم، إنها تشبه الحضارة و يخرج الإنسان منها قويا. (نيتشة، 2002، ص 96) و بقدر قوة الشخص تكون عدالته. (نيتشة، 2002، ص 61) كما أن ليس القضية الجيدة هي التي تبرر الحرب، بل إن حربا جيدة هي التي تبرر كل قضية. (نيتشة، 2007، ص 99) و الجيش الباسل يقنع الناس بالقضية التي يحارب من أجلها. (نيتشة، 2002، ص 57) فالحرب هي التي تحل المشاكل الأخلاقية، بل و تفرضا أخلاقا جديدة، لا يمكن أن تفرض بدونها؛ فهي ضد الافتراء و تجعل المرء قويا و عادلا.

و الجدير بالذكر، أن أفكار (نيتشة) عن إرادة القوة و الإنسان المتفوق، تعرضت للتأويل و قد دار جدل واسع بين معارض و مؤيد، حول مدى صلة (نيتشة) بالنازية، و إن كان في الغالب يتم رفض هذا الربط بينهما، و اعتباره تأويل غير صحيح لـ(نيتشة)، و في أسوأ الأحوال فإن ظهور النازية، يتحمل مسؤوليته، الإرث الفكري الألماني برمته. (Fischer, 1973, p p 116-119) و لكن هذا لا يبرئ ساحت تماما، فعلى الرغم من أن فكرة " سوبرمان" قديمة في التاريخ البشرية، و مع ذلك فقد تم التعبير عنها بوضوح فقط في فلسفة نبيها الحديث (نيتشه) ، وبلغت ذروتها في أشد مؤيديها ، الأيديولوجية الاشتراكية القومية ، وهي كان هدفها و مثلها الأساسي هو خلق أنواع فوق البشر، فالنازيون نيتشويون بامتياز.(Taha , 2005, p 6)

و لكن هناك من يدحض كل ذلك، مؤكدا أن الصورة التي رسمتها النازية لـ(نيتشة) كانت صورة مشوهة إلى حد بعيد، حيث حملوا نصوصه ما لا تحتمل، دون أن يكون ذلك تبرئة له من تهمة تمجيد الحرب.(زكريا، 1991، ص 126) و أن الحرب الحقيقية التي دعا إليها نيتشة و ألح عليها، هي الحرب الفكرية، لأن الحرب بالنسبة له كفاح من أجل المعرفة.(عبدالسلام، 1999، ص 292)

3- الحرب العادلة Just War

يمكن الإشارة إلى شكل آخر من أشكال تبرير الحرب، لا يكون الأمر فيه استنادا إلى النتائج الإيجابية، بل انطلاقا من الأسباب؛ و التي تكون غالبا قضايا مصيرية و أساسية، لا تقبل التصالح أو التراجع، مثل القضايا الدينية أو سيادة الدولة أو حفظ الأمن، و بالتالي، فحتى أولئك الذين يرون أن الحرب شر محض، فإنهم يرون أنه يمكن أن تكون مبررة، و هذه هي المهمة التي تقع على عاتق الفلاسفة، متى تبرر الحرب، و من هنا جاءت نظرية (الحرب العادلة)Just War. أن الحرب شر، و لكنها تشبه الكوارث و الأمراض، شر لا يمكن منع وقوعه، و لا حتى تقييمه أخلاقيا، هي حتمية طبيعية.(Bird, 2006, p 224)

و يؤكد القديس (أوغسطين)، أن الحرب دائما وحشية، و لقد دونها المؤرخون في صحائفهم و الشعراء في قصائدهم، و لكن الاستثناء عندما تكون باسم الدين.(أوغسطين، 2006، ص ص 15- 18) أن الحروب(شأنها شأن القتل عموما) مرفوضة دينيا، و لكن الله جعل لهذه الأمر استثناءات، فالحروب الصحيحة هي التي تأتي بأمر من الله، و وفقا للضوابط التي تحددها الكتب المقدسة، و هي

تكون على شكل قصاص نتيجة خطايا بعينها، (أوغسطين، 2006، ص ص 40، 41) و قد ميزت (على سبيل المثال) الماركسية اللينينية بين نوعين من الحروب، فالحروب غير العادلة، هي التي تمثل استمرارا لسياسة الطبقات المستغلة و نوعية حكمها، و تضيف إلى ثرواتها، أما الحروب العادلة، فهي التي تهدف إلى تحرير الشعب من القهر الطبقي و القومي. (روزنتال & يودين، 1997، ص 178)

و لكن كيف نتجنب التحذير (النيتشوي)، المتمثل في السؤال "كيف نقاتل دون أن نكون قساة"؟ و أن تتحول إلى وحش، أثناء معركتك ضد الوحوش.(نيتشة، 2003، ص 118) و من هذا المنطلق، أصبحت المهمة الأساسية في نظر من وضع مصطلح (الحرب العادلة)، هي تحديد الشروط التي تجعل شن الحرب عملا أخلاقيا، و لقد طورت هذه النظرية من طرف الكنيسة المسيحية، و في فترة أحدث تم التعبير عنها في أعراف القانون الدولي. (هوندرتش، 2005، ص 281)

و لم يكن الخلاف واسعا بين الفلاسفة حول تلك الشروط، فهي بشكل عام، تختصر في شرطين أساسيين:الأول أن تعلنها (سلطة شرعية)، و صاحبة سيادة عليا، و ثاني هذه الشروط هي(القضية العادلة)، و إن كان هناك من ذهب إلى بعض التفاصيل، باعتبار أن الحرب عموما دفاعية، أم الحرب الهجومية فتتطلب شرطا ثالثا و هو أن تكون فرص (النصر) فيها كبيرة، و لابد أن تكون الحرب أخلاقية في (أساليبها)، بحيث لا تزل بالعدو سوى الخسائر الضرورية للنصر، و أن لا يتضمنها ضحايا من (الأبرياء).(كوبلستون، 2013، ص 558) كما تحدث البعض عن مدتها، فإن كانت الحرب العادلة ضرورية و هدفها هو تحقيق السلام، فمن الممكن أن تكون (قصيرة) و لا تسبب ضررا للبشرية، و هي اعتبارات بعيدة المنال. (رسل، 1960، ص 199)

و يمكن الحديث أيضا عن شروط أكثر تفصيلا و عمومية، مثل لمساواة بين جنود الطرفين، فخلال الحرب لا يسمح بأي تجاوزات لصالح أي طرف، فتنكر جنود المقاومة الفرنسية في زي فلاحين، مما أتاح لهم فرصة إبادة دورية ألمانية، يعد جريمة، حتى و إن كان الألمان هم المعتدون و الجنود الفرنسيين في حالة مقاومة. (دورتيي، 2009، ص 229)

أ-الحرب و سيادة الدولة

لابد من الإشارة أيضا لبعض الأسباب الأساسية أو القضايا العادلة، التي تشكلت حولها نظرية الحرب العادلة، بعد أن سبق الحديث عن أشكالها و شروطها، و على الرغم من تعدد الأسباب التي تم تبنيها لتبرير الحرب، إلا أن هناك شكلين أساسيين، كان هما الأكثر شيوعا، و أولهما هي توطيد سلطة الدولة، و الآخر هو رد العدوان الخارجي.

و كان (مكيافيللي) أبرز من تناولوا هذه الفكرة، من خلال تعضيد سلطة الأمير نفسه، و الذي يختزل فيه سيادة الدولة، إذ لا ينبغي للأمير، في نظره، أن تكون له فكرة أو غاية، سوى الحرب، و نظامها و طرق تنظيمها، و أن لا يدرس موضوعا سواها، فهي الفن الوحيد اللازم لمن يتولى القيادة، فمن العيوب أن لا يتسلح الفرد جيدا، لأن ذلك يجعله بلا قيمة، و لم نر رجلا مسلحا يطيع رجلا أعزلا.(مكيافيللي، 2004، ص 77) و على الأمير أن يستخدم كل طرق القتال، ما كان منها إنسانيا يلتزم فيها بالقواعد و ما كان منها حيوانيا يعتمد على الوحشية و الشراسة، فعلى الأمير أن يكون ماكرا كالثعلب و شرسا كالأسد، بل يحق له أن يخلف العهود التي لم يعد

الالتزام بها يخدم مصالحه. (مكيافيللي، 2004، ص 99) و كما هو واضح، فإن مكيافيللي، تخلى حتى عن شروط الحرب العادلة، حيث حرر الأمير من أي التزامات أخلاقية، معليا من دور الغاية، على حساب أخلاقيات الوسيلة.

و يأتي بعد ذلك (هوبز) الذي يعتبر وجود القوة القاهرة، التي ترهب الناس، هو ما ينظم الدولة و يرسى القانون، و إلا فإن البشر يدمرون بعضهم بعضا. (هوبز، 2011، ص 133) فعدم وجود قوة تجمع الناس، تجعلهم في حالة حرب دائمة، حرب كل إنسان ضد الإنسان الآخر، و ليس بالضرورة أن تكون الحرب معارك فعلية، بل هي أيضا الاستعداد للقتال أيضا. (هوبز، 2001، ص 134) و هذه الحالة تجعل من الخوف هو الشعور المسيطر، و تختفي معه كل مظاهر الحياة الإنسانية، فلا تجارة و لا صناعة و لا آداب و لا فنون بل لا مجتمع أيضا، و تصبح الحياة بغيضة و قاسية. (هوبز، 2011، ص 135)

و لتجنب ذلك و تحقيق الأفضل، لابد من سلطة و قوة تلزم الناس، و لا وجود لهذه السلطة قبل قيام الدولة. (هوبز، 2011، ص 152) و لذلك نجده يؤكد على أن الخوف هو ما يدفع الإنسان نحو الرغبة في السلام، و الحصول على متطلبات الإنسانية الأساسية. (هوبز، 2011، ص 138) فالغاية الوحيدة لتخلي الإنسان عن حقه (في الحرية) هي إنقاذ نفسه من الموت و السجن و الأذى الجسدي. (هوبز، 2011، ص 148) فحالة الحرب هي الحالة الطبيعية، التي لا يمكن تجاوزها إلا بقيام الدولة، و الذي لا يأتي إلا بحالة حرب أخرى تحتكر فيها الدولة القوة القاهرة.

و نجد ذات الفكرة عند (لوك) الذي ينادي بمواجهة من يملكون نزعة عدوانية، بالحرب، لكونهم يهددون حياة الآخرين، بل هم أصلا في مرتبة أقل من الإنسان، فقتلهم لا يختلف عن قتل (ذئب أو أسد) لأنهم لا يخضعون للمقاييس العقلية، و لا يعترفون إلا بمذهب القوة و العنف، و يجب معاملتهم كمعاملة الحيوانات المتوحشة.(لوك، 1957، ص 23) و لذلك تنتهي الحرب، بوجود سلطة تحكم أفراد المجتمع، إذ أنهم يتساوون أمام القانون. (لوك، 1957، ص 26) و لم يخرج (هيغل) عن هذه الفكرة، فاللحظة الأخلاقية في الحرب، بالنسبة له، متمثلة في حفظ سيادة الدولة. فالحروب تحول دون الاضطرابات الداخلية و تعضد سيادة الدولة. (هيغل، 1996، ص 590)

ب-الحرب الأهلية

و على الرغم من تبرير، شن الحروب، لغرض توطيد سلطة الدولة، ضد المتمردين و الخارجين عن القانون، إلا أن هناك من الفلاسفة، من حذر و لو بشكل خفي، من مغبة الإنزلاق إلى الحروب الأهلية، أثناء محاولة توطيد سلطة الدولة، فند أن (أوغسطين) بالقدر الذي برر فيه الخارجية، التي يكون هدفها الدفاع عن الدولة أو الإمبراطورية، للحفاظ على الحرية و السلام، فإنه في المقابل، كان ينتقد الحروب الداخلية(الحروب الأهلية) أو كما يسميها (حروب الأخوة) و يصفها بأنها إثم عظيم، نابع من شهوة السيطرة لدى الجنس البشري و التي لا تخلف إلا المآسي.(أوغسطين، 2006، ص ص 128 – 131)

و كذلك يعتبر (هوبز) أن محاولة التمرد على هذه السلطة، أمر مناف للعقل، فحتى لو حقق نجاحا، فإنه سيدفع الآخرين لتحقيق ذات النجاح و بذات الطريقة. (هوبز، 2011، ص 152) و هذا ما يعني ضمنا العودة للحالة الأولى و هي حالة حرب الجميع ضد الجميع و عودة الخوف و فقدان الأمن و فقدان حاجات الحياة الأساسية. و هو ما أكده (هيغل) حين طالب بضرورة أن لا تشن الحرب ضد المؤسسات الداخلية أو ضد سلامة الأسرة و الحياة الخاصة أو ضد الأشخاص و قدراتهم الخاصة. (هيغل، 1996، ص 598)

ج-الحرب الخارجية (رد العدوان)

لا يوجد خلاف بين الفلاسفة، حول الحروب (الدفاعية) التي لا تكون خيارا، بل تفرض على الدول و الشعوب، و إن حالة الدفاع عن النفس، مبررة أخلاقيا و دينيا و إنسانيا، بل هناك من يعتبر ذلك حالة متجذرة في البشر، و أننا مهيئون من الناحية البيولوجية، لخوض الحرب في حالة واحدة فقط، و هي الدفاع عن أنسفنا.(Moseley, 2002, p 2) كما يرى (سوريز)أن الحرب ليست شرا بشكل دائم، إذا يمكن أن تكون هناك حرب عادلة، فالحرب في حالة الدفاع ليس مباحة و مسموح بها فحسب، بل تكون إجبارية أيضا. (كوبلستون، 2013، ص 558) أي أن الدفاع عن النفس مبدأ فطري و ضرورة أخلاقية و إنسانية.

و لكن حتى و إن كان الأساس في الحروب، هي توطيد سلطة الدولة، و من ثم ممارسة تلك الدولة لمهامها، من توفير الأمن و الحاجات الأساسية لرعاياها، بما في ذلك رد أي معتدٍ يحاول تهديد أراضيها، و التي تكون فيها في حالة دفاع عن النفس، إلا ذلك لم يعد كافيا، مما قد يفرض على الدولة، أن تقوم بحروب خارج حدودها، و في هذا السياق، يرى (هوبز)، أن الحفاظ على الأمن-بسبب انعدام الثقة- يتطلب أن يكون الشخص قويا و حذرا، و يفرض سلطته على أكبر قدر ممكن من الناس، و وفقا لهذا التصور فإنه يبرر حتى الغزو الخارجي، من أجل كسب مزيدا من القوة و توفير مزيدا من الأمن، لكون الدفاع وحده غير كافٍ، بل لابد من الهجوم أيضا. (هوبز، 2011، ص 133)

و أصبح الأمر أكثر إلحاحا مع تطور أساليب الحروب، و الطفرة الهائلة في صراع التسلح، و حين سئل بوبر عن الموقف الذي يجب أن يتخذه الغرب ضد صدام، أجاب بكل وضوح أنه يجب اتخاذ موقف ضد صدام و غيره، و لا معنى للوقوف متفرجا و لابد من عمل جماعي للعالم المتحضر، يجب أن تشن الحرب من أجل تحقيق السلام و لكن في أقل صورة ممكنة، و ما دامت المسألة مسألة عنف فيجب منع استخدام هذه القنابل بالعنف. (بوبر، 1998، ص 298)

و في العصور الحديثة و يمكن الحديث عن حروب أخرى، مثل (الحرب الباردة) و التي تجاوزت فيها المهام الدفاعية، الدول المعنية، فأصبحت (الولايات المتحدة) تنصب منصات صواريخها الدفاعية في (أوروبا الشرقية) بينما ذهب (الاتحاد السوفياتي) إلى حد نقل رؤوس صواريخه إلى قلب (كوبا)، و انقسم العالم إلى معسكر شرقي و معسكر غربي، و ساحة حرب مفتوحة. و يأتي ذلك بعد أن عرف العالم حربين عالميتين، ساهمتا في تطور مفهوم الحروب الدفاعية، بحيث أصبحت أكثر شمولية.

و تأتي بعد ذلك الحرب على الإرهاب، و التي جاءت بعد تبلور ظاهرة (الإرهاب) حيث حمل هجوم 11 سبتمبر ملامح جديدة أخرى للحرب، فقد استثمر الميول الانتحارية للإرهابيين بشكل مسرحي من خلال تحويل طائرات مدنية لتصبح سلاحا فتاكا، كما أكد الهجوم على الاستعداد لإيقاع خسائر واسعة في نطاق المدنيين من دون رادع. (فيشر، 2014، ص 235) ظهرت أشكال جديدة من الحروب الدفاعية، و عرفت تحولا نوعيا، و أصبحت تحمل أسماء و دلالات جديدة، فظهرت الحرب الشاملة و الحرب الوقائية أو الحرب الاستباقية و الحرب على الإرهاب.

و لم يقتصر الأمر على الجماعات المتطرفة فقط، بل خلال الحرب على الإرهاب صنفت دولا بوصفها راعية للإرهاب، حيث قامت بتدجين الجماعات الإرهابية لخدمة مصالحها، و وفرت لها الدعم المادي و الملاذ الآمن، و هو ما جعل الحرب الوقائية أو الحرب على الإرهاب، تتحول إلى حرب شاملة بين دول، و تطور الأمر إلى الحد الذي دفع دولا مثل (الولايات المتحدة) و الدول الأوروبية المشاركة في حلف (الناتو)، لكي تشارك في غزو افغانستان، و العراق، و فرض عقوبات على السودان و إيران، و تبرر ذلك كله، بأنه حماية لمصالحها و رعاياها.

ثانيا-الفلسفة ضد الحرب (فلاسفة السلام)

1-الحرب ليست حلا.(استبدال الطاغية بمجموعة طغاة)

أشرت آنفا، إلى أن هناك من يرى، أن حالة السلم ذاتها، حالة مزيفة، و ذلك لكونها تأتي من انتصار أحد الطرفين، و بالتالي، فإن الطرف الآخر مرغم على قبول السلم، بوصفه أمرا واقعا، و لكن عندما تسنح له الفرصة، بأن يعود مرة أخرى، و ينقض على المنتصر، فلن يتأخر، و على هذا الأساس، اعتبرت حالة الحرب، حالة دائمة، و استنبط بعض الفلاسفة، من ذلك، أن الحرب، ليست حلا، حتى بالنسبة للمنتصر.

إضافة إلى ذلك، عادة ما تخلق الحروب أحلافا وهمية، تنقسم على ذاتها بمجرد نهاية الحرب، فقد تنجح في القضاء على طاغية، و لكن دو القضاء على الأسباب الحقيقة للطغيان، فيظهر طاغية جديد بعد دفع ثمن باهظ، من دماء المواطنين، و يستمر الشقاق و الحروب الأهلية بلا انقطاع، و لا تختفي إلا بانهيار الدولة. (أسبينوزا، 2005، ص 408) و يضرب (بوبر) مثالا واضحا على ذلك، بما حدث بعد الحرب الحرب العالمية، لأن العالم انقسم بعد نهايتها، إلى قطبين، يشكلان هاجسا مخيفا للجميع، حيث انقسم العالم إلى الشيوعية السوفياتية و الديمقراطيات الأوروبية التي انقسمت هي الأخرى فيما بينها، و هما في الأصل الفريق المنتصر في الحرب العالمية الثانية. (بوبر، 1998، ص 310)

و لا يفوتنا هنا أن نشير إلى ما حدث خلال تحولات (الربيع العربي) فما انفرطت سلطة الطغاة، حتى تفتت حشود المضطهدين، و انفرط عقد الثوار، و تعدد أشكال الثورة، لكون تحالفها، كان يقوم على فكرة واحدة، و هي رفض المستبد.(عمران 2،

2020، ص 83) فهي في الأساس مجرد ردة فعل ضد أنظمة الطغيان، التي تشكلت هوية مرتبطة ببقائها، و تكون عرضة للتشظي و التلاشي، بل و التقاتل بمجرد زوال الاستبداد.(عمران 1، 2020، ص 60)

و لذلك يؤكد (مور) أنه حتى لو انتهت الحرب، فلن يكن الأمن أكثر استتبابا من ذي قبل، فقد أفسدت الحرب أخلاق الشعب، و أصبحت شهوة السرقة طبيعة ثانية، و ازداد الاستهتار الإجرامي نتيجة لعمليات القتل في الحرب، و لم يعد للقانون حرمة.(مور، 1987، ص 124) و وفقا لـ(رسل) فإن العالم أصبح أكثر سوءا، و بالتالي فإن حربا عالمية ثالثة، أيا كانت نهايتها (انتصار الغرب أو الشرق) لن تحل أي مشكلة مثلها مثل سابقتها، بل الأقرب هي أن تجعل العالم أسوأ مما كان عليه قبلها. (رسل، 1960، ص 200)

2- السلام الدائم.

و بناء على ما سبق، تبنى كثير من الفلاسفة فكرة السلام، بوصفها الحل الأمثل لصراعات البشرية، و أن السلام هو أكثر شيء نبتغيه أكثر من أي وقت مضى، و لذلك يجب أن نفعل ما بوسعنا لتجنب الصراعات أو الحد منها، و لكن مجتمع بلا صراعات هو مجتمع لا إنساني بل هو مملكة نمل؛ فالمجتمع البشري يحتاج إلى السلام و يحتاج إلى صراعات فكرية جادة، فللكلمات أثر أمضى من السيف، هذا ما تعلمه المجتمع الغربي منذ الإغريق. (بوبر، 1990، ص 152)

و إن كان الفلاسفة لم يسهبوا في مدح والسلام و ذكر مناقبه، و لكنهم ركزوا على الشروط التي تجعل السلام حلا مقبولا، و لا يكون مجرد سلام زائف، لكون السلام كما يراه (كان) ما لم يكن سلاما دائما، فهو مجرد هدنة لشن الحرب مرة أخرى. و يكون السلام هنا، أشد وطأة من الحروب القصيرة، و أكبر خطر من استمرار الحرب، لكونه هدنة لتقوية المتحاربين، فالسلام لا يتحقق بمجرد الكف عن الحرب، بل لابد من ضمانات، يتم صياغاتها بشكل قانوني. (كانط، 1952، ص ص 24-39)

إن أهم شروط الاستقرار، هو حكومة واحدة للعالم، تحتكر القوات المسلحة و تستطيع فرض السلام، و الشرط الآخر هو أن يعم الرخاء بين الجميع، و الشرط الثالث هو التحكم في عدد سكان العالم بخفض عدد المواليد، و الشرط الأخير، هو تحقيق سبل للابتكار الفردي. (رسل، 1960، ص 202) و يرى (بوبر) أنه لكي يتحقق السلام، لابد من نشر الحرية و ربطها بالمسؤولية، حتى يحل المجتمع مشكلاته بشكل سلمي، و يجب أيضا نزع السلاح و مكافحة تسابق التسلح النووي، لأنه سيسبب فناء البشرية. كما يجب مكافحة الفقر في كل الأنحاء، و هو أمر متاح لأن العالم غني بشكل كافٍ، و الأهم مكافحة الانفجار السكاني من خلال تحديد النسل، و تدريب الأطفال على عدم استخدام العنف. (بوبر، 1998، ص ص 323 - 326) أي أن يكون الأمر بشكل ميثاق عام و قانوني بحيث يكون هناك عقاب رادع للمخالفين، و من هنا جاءت فكرة النظام العالمي، و تقوم على تحقيق العدالة و الحرية للجميع، و تتحكم في عدد السكان للقضاء على كل أسباب الحروب.

3-النظام العالمي

يرى كثير من الفلاسفة على رأسهم (كانط)، و من بعده (رسل)، أن وجود نظام عالمي، هو أساس أي سلام، و أن السلام هو أقدم آمال البشرية، و لهذا الهدف نشأت الأمم المتحدة. (بوبر، 1998، ص 355) و إنه إذا أمكن إنشاء نظام دولي، يقضي على الخوف من الحرب، فسيتحسن تفكير الناس العاديين بشكل هائل و سريع، لأن الخوف من حروب ذرية بين الرأسمالية و الشيوعية يخيم على الجميع. (رسل، 1960، ص 151) و للحيلولة دون أن يسود حكم العنف في شؤون البشر، سواء داخليا أو في العلاقات الخارجية، أمر غير ممكن إلا عن طريق قيام سلطة تستطيع أن تحرم استخدام القوة إلا بواسطتها هي، على أن تكون من القوة بحيث تكون قوة غيرها غير مجدية، أو أن يتم استخدام القوة عن طريق الرأي العام، للدفاع عن الحرية أو مقاومة ظلم.(رسل، 1948، ص 104)

4-قيم العدالة و الحرية

ركز الكثير من الفلاسفة، على أهمية نشر قيم العدالة و الديمقراطية، كأساس للسلام، و يربط (كانط) بين حالة الاستقرار و السلام داخل الدول، و بين الحروب الخارجية بين الدول المختلفة، لذلك يرى أن الحكم الدستوري الجمهوري، الذي يعطي الحق للمواطنين في المشاركة في قرارات الدولة، و من بينها قرارات الحرب و السلم، يكون أضمن للوصول إلى السلام، فالمواطنون لن يحكموا على أنفسهم بمعاناة الحروب و كوارثها. (كانط، 1952، ص ص 43، 44) فهو يربط بشكل واضح بين الحكم الديمقراطية و حرية الشعوب و بين السلام و بين الديكتاتورية و الاستبداد و بين الحروب، فالقرار في الدول الديمقراطية يكون شعبيا و بالتالي لن توافق الشعوب على خوض الحرب، بينما الحاكم المستبد سيتخذ قرار الحرب بشكل فردي و دون تفكير أو حكمة.و تجدر الإشارة هنا، إلى أن (كانط) يميز بين الحكم الجمهوري و الديمقراطي و يعتبر أن الجمهوري هو الأفضل لأن الديمقراطي يمثل استبدادية الجماعة.

في المقابل، نجد من يتبنى رأيا معارضا و مناقضا تماما، بحيث أن على الإنسان التنازل عن جزء من حريته كما يتنازل الآخرون، من أجل تحقيق الآمن و السلام، و يكون ذلك من خلال تفويض هذه الحقوق للغير و هذا ما يسمى عقدا. (هوبز، 2011، ص ص 140 -142) بمعنى آخر، إما أن نسمح للجنس البشري أن يبيد نفسه، أو نتنازل عن بعض الحريات العزيزة علينا.(رسل، 2008، ص 110) فالحريات لا تكون مطلقة، بل يجب تقييدها، لأنها قد تخرج من سياقها، و تنقلب نتائجها ضد حياة الإنسان و آمنه.

5-الجيوش و الأسلحة و تكلفة الحروب

اعتبر بعض الفلاسفة، أن وجود الجيوش، هو أحد أسباب الحروب، و بالتالي فإن أحد شروط دوام السلام، يجب إلغاء الجيوش، لأن عدوانيتها و وحشيتها هي السبب اندلاع الحروب، ما تثقل نفقاتها و تسلحها الدول، و لذلك يجب أن تلغى و تستبدل بتدريب عامة الشعب. (كانط، 1952، ص 25) و قد طالب (رسل) أيضا بتسريح الجيوش، و استبدالها بقوة دولية صغيرة للوقوف في وجه العدوان، و بذلك يكون السلام ممكنا. (رسل، 1948، ص 201)

و هو ما طالب به (مور) معتبرا أن الحل الوحيد للسلام، هو اختفاء الجيوش، فلقد عرف الفرنسيون ما حل بهم من أضرار نتيجة تربية تلك الوحوش الضارية، كما توضح ذلك في حالات روما و قرطاجة، لم تدمر السلطة العليا للبلاد فحسب، بل دمرت أراضيها و قوتها و مدنها، بواسطة تلك الجيوش التي أعدت من قبل. (مور، 1987، ص 104) فعندما تتحكم الجيوش و الطبيعة العسكرية على الدولة، لا يكون لها هم سوى الحروب و التوسع، و محاولة الدول التوسع باحتلال دول أخرى هو أكبر الأخطار الذي واجه أوروبا على وجه الخصوص. (كانط، 1952، ص 25)

و يستعرض (فوكو) بعض مشاكل الحروب، و التي ترتبط بوجود قادة عسكريين، و منها استمرار العقلية العسكرية، مصحوبة بقوة الجيوش حتى بعد انتهاء الحرب، لأن الذي كان قائدا عسكريا أثناء الحرب سيستمر كذلك بفعل الاحتلال ذاته قائدا عسكريا ومدنيا في الوقت ذاته. (فوكو، 2003، ص ص 160) و الطبيعة العسكرية، تتنافى مع قيم المدينة، و هذا ما نبه له (نيتشة) رغم أنه محسوب على فلاسفة الحرب، حيث أكد على أن أكبر سلبيات الجيوش الوطنية، الجيوش الممجدة كثيرا في أيامنا هذه، هي تبديد رجالة الثقافة المتفوقة. (نيتشة، 2002، ص 195)

و في العصر الحديث، عندما بدأت الدول العظمى تمتلك أسلحة نووية، تغيرت طبيعة الحرب بسبب كلفتها و عدم القدرة على تخيل نتائجها، مما دفع (برنارد برودي) إلى القول،بأن" حتى هذه اللحظة تمثل الهدف الرئيسي لمؤسساتنا العسكرية في الانتصار بالحروب، و من الآن و صاعدا فإن الهدف الرئيسي يجب أن يكون تجنبها. (فيشر، 2014، ص ص 223، 224) و لذلك يجب عدم اقتراض المال من أجل نفقات الحرب. (كانط، 1952، ص 26)

بشكل عام، فإن الفلاسفة، كانوا ينتقدون الجيوش، لكون طبيعتها القتالية، تولد لديها رغبة في خوض الحروب، خاصة لو كان قادة تلك الجيوش يسيطرون على مقاليد القرار في الدول، أي أن الدول تكون ذات طبيعة عسكرية، و هو ما يعني المزيد من النفقات، على حساب التنمية و الرفاهية للمواطنين، إضافة إلى أن العقلية العسكرية، عقلية تقوم على الأمر و الطاعة، و بالتالي لا تميل عادة إلى إشاعة مناخ الحريات و الثقافة، و تكون في عداء دائما مع المفكرين. و كل ذلك يعني صعود خطاب الحرب على خطاب السلم.

6-التسامح و العفو قبول الآخر

على الرغم من أهمية كافة الشروط السابقة لتوطيد السلام، إلا أن الاهتمام الأكبر كان مركزا على مفهوم التسامح و العفو، و قبول الآخر و التعددية، فمن الأشياء المتفق عليه، بين المفكرين، أن السبب الأول للحروب الكبيرة و المجازر التي شهدها القرن العشرون، تمثل في إنكار التعددية لمصلحة حقيقة أيديولوجية و أخلاقية في غير موضعها. (فيشر، 2014، ص 58)

و بلغ الاهتمام بالتعددية حدا، دفع (لوك)، إلى كتب رسالة بهذا الاسم (رسالة في التسامح)، و رفض فيها (الأحادية) و طالب بالتعددية و قبول الآخر، بل نسف حتى أقوى الأسباب و هو السبب الديني، معتبرا إن محاولة إخضاع الآخرين بالقوة لكي يعتقدون

عقائد بعينها، هو أمر مخالف لتعاليم المسيحية، بل حتى الحاكم ليس مفوضا من الله بذلك، فالله لم يخول أحدا لفرض دينه بالقوة على الآخرين.(لوك، 1997، ص ص 20- 24)

و إن كان (هوبز) أكثر دقة و تفصيلا في هذا الموضوع، إذ يرى أن هناك مجموعة قواعد، لابد من الالتزام بها، للبدء في حالة السلم و ضمان استمرارها، من أهمها (الكياسة) تلك التي تجعل الإنسان مقبولا، و لا يكون صلبا و قاسيا. كما عليه أن يتطلع إلى المستقبل، و بالتالي نسيان الماضي و العفو عن كل ما ندم عنه فاعلوه، فالعفو ما هو إلا منح للسلام. كما يتطلب الأمر أيضا عدم التفكير في الانتقام، و ذلك بعدم التفكير في الشر الذي مضى بل في الخير الذي سيأتي. (هوبز، 2011، ص ص 157 - 159)

خاتمة:

لم تكن الفلسفة يوما عاجزة عن وضع تصور لظاهرة الحرب، و لا عن البحث في أسبابها، أو تبريرها و تحديد شروطها و وظائفها، و كيفية تجنبها و وضع حد لها، و بالتالي فقد أسهمت الفلسفة بشكل كبير، في كل متناقضات الحروب و السلام، بل إن من الفلاسفة، من كانت الحرب و السطوة و القوة، هي حجر الزاوية في نظريته الفلسفية. لكن الجدير بالملاحظة، هو أن نظريات الفلاسفة عن الحرب، تختلف باختلاف عصورهم، و انتماءاتهم الأيديولوجية، مما يجعل بعض النظريات، غير قابلة للتعميم، بل منها ما لا يؤخذ على محمل الجد، نظرا للتغير الكبير في السياقات التاريخية، و التطور العلمي الهائل.

كما لا يفوتنا، أن أوقات الحروب، يكون عادة المناخ الفكري مشحون، بالعواطف الدينية و القومية و الأيديولوجية، مما لا يترك متسعا للحديث بموضوعية و عقلانية، و هو ما يجعل بعض الفلاسفة، يقرون بما لا يتفق مع فلسفاته، سواء نتيجة انجرافهم خلف الجموع، أو خوفا من القهر المجتمعي و السياسي، و هو ما يجعلك تلتمس تناقضات كبيرة، كما نجدها بالخصوص عند (رسل) و (بوبر) فأحدهما انجليزي و الآخر ألماني.

و لكن في الغالب العام، ازدادت الأصوات المنادية بالسلام، مع تطور الوسائل الإعلامية، و تطور آلة الحرب، و ارتفاع تكلفتها، مما زاد الوعي المجتمعي، لكونه أصبح أكثر معرفة بواقع الحروب، كما زاد الرفض المجتمعي، بسبب تكلفة الحروب المادية و البشرية، إضافة لتطور تقنيات الحروب، حيث تحولت إلى الإقليمية و العالمية، و لم تعد الحرب شأنا داخليا.

و لابد من الإقرار، بأن صوت الفلاسفة يكون خافتا و غير مسموع، في أوقات الحرب، و لا يمكن التأثير في العامة، إلا من خلال الترويج لقيم السلام، أثناء فترة السلام ذاتها، و لكنهم يكون تأثيرهم أقوى، عندما يتقربون من السلطة و مراكز صنع القرار، و هي الفكرة التي نادى بها (كانط) و الجدير بالذكر، أن قلة من الفلاسفة، هم من يؤيدون الحرب، بقسوتها و دمارها، و أما الغالبية، فكانوا يؤيدون السلام، و حتى مؤيدو الحرب، كانوا يؤيدونها بوصفها طريقا للسلام، فحين تكون حالة الحرب أمرا واقعا، و حالة التنافس و التدافع بين البشر هي الأصل في طباعهم، فالأفضل هو تنظيم هذه الحالة، باحتكار سلطة واحدة للقوة، و جعل الحرب سبيلا لتحقيق السلام و فرض حالة (غير طبيعية) متمثلة في سيادة الدولة

المراجع

1- المراجع العربية

أسبينوزا، باروخ،(2005) رسالة في اللاهوت و السياسة، (ت) حسن حنفي، دار التنوير، بيروت.

أوغسطين،سان،(2006) مدينة الله، (ت) يوحنا الحلو، دار المشرق، بيروت.

بغوة، الزواوي،(2007) مسألة الحرب في الفلسفة المعاصرة، مجلة عالم الفكر، العدد 2 المجلد 36، المجلس الأعلى للثقافة، الكويت 2007.

بوبر، كارل،(1998) الحياة بأسرها حلول لمشاكل، (ت) بهاء درويش، منشأة المعارف، الإسكندرية.

بوبر، كارل،(1999) بحثا عن عن أفضل،(ت) أحمد مستجير، وزارة الثقافة، القاهرة.

دورتيي، جان"مشرفا" (2009) فلسفات عصرنا، تياراتها مذاهبها أعلامها و قضاياها، (ت) إبراهيم صحراوي، الاختلاف، الجزائر.

رسل، برتراند،(1948) سبل الحرية، (ت) عبدالكريم أحمد و علي أدهم، وزارة التعليم، القاهرة.

رسل، برتراند،(1960) المجتمع البشري بين الأخلاق و السياسة، (ت) عبدالكريم أحمد، الأنجلو، القاهرة.

رسل، برتراند،(1990) حكمة الغرب (ج 1)، (ت) فؤاد زكريا، المجلس الوطني للثقافة، الكويت.

رسل، برتراند،(1990) حكمة الغرب (ج 2)، (ت) فؤاد زكريا، المجلس الوطني للثقافة، الكويت.

رسل، برتراند،(2008) أثر العلم في المجتمع، (ت) صباح صديق، المنظمة العربية للترجمة، بيروت.

روزنتال & يودين،(1997) الموسوعة الفلسفية،(ت) سمير كرم، دار الطليعة، بيروت.

زكريا، فؤاد،(1991) نيتشة، دار المعارف، القاهرة.

عبدالسلام، صفاء،(1999) محاولة جديدة لقراءة نيتشة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.

عمران، عبدالله علي(1)، (2020) الليبيون، هوية المقهورين، مؤقتة عنيفة و هشة، مجلة الفصول الأربعة، العدد 124، يناير، الهيئة العامة للثقافة، طرابلس.

عمران، عبدالله علي(2)،(2020) الربيع و الأرض الجرز الربيع العربي و أزمة الهوية، مجلة الليبي، العدد 18، يونيو، مؤسسة الخدمات الإعلامية، البيضاء 2020.

فوكو، ميشيل،(2003) يجب الدفاع عن المجتمع،(ت) الزواوي بغورة،دار الطليعة، بيروت.

فيشر، ديفيد،(2014) الأخلاقيات و الحرب،(ت)عماد عواد، المجلس الوطني للثقافة، الكويت.

كاز، بينر"محررا"،(1983) تاريخ الفلسفة الأمريكية في 200 عام، (ت) حسني نصار، الأنجلو، القاهرة.

كانط، أمانويل،(1952) مشروع للسلام الدائم،(ت) عثمان أمين، مكتبة الأنجلو، القاهرة.

كوبلستون، فردريك،(2013) تاريخ الفلسفة (ج3)، (ت) إمام عبدالفتاح و محمود سيد، المركز القومي القاهرة.

كومبان، كريستيان دولا،(2015) تاريخ الفلسفة في القرن العشرين،(ت) حسن أحجيج، جداول للنشر، بيروت.

لوك، جون،(1957) الحكومة المدنية، (ت) محمود شوقي، الدار القومية للطباعة، القاهرة.

لوك، جون،(1997) رسالة في التسامح، (ت) منى أبوسنة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة.

ماركس، كارل،(1967) بؤس الفلسفة، (ت) أندريه يازجي، اليقظة العربية، بيروت.

مكيافيللي،(2004) الأمير، (ت) أكرم مؤمن، ابن سينا، القاهرة.

مور، توماس،(1987) يوتوبيا، (ت) أنجيل سمعان، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة.

نيتشة، فريدريك،(1981) أصل الأخلاق و فصلها، (ت) حسن قبيسي، الدراسات الجامعية، القاهرة.

نيتشة، فريدريك،(2002) إنسان مفرط في إنسانيته (ج1)، (ت) محمد الناجي، دار إفريقيا الشرق، الدار البيضاء

نيتشة، فريدريك،(2003) ما وراء الخير و الشر، (ت) جيزيلا حجار، دار الفارابي ، بيروت.

نيتشة، فريدريك،(2006) هو ذا الإنسان، (ت) علي مصباح، منشورات الجمل، بيروت.

نيتشة، فريدريك،(2007) هكذا تكلم زرادشت،(ت) علي مصباح، بغداد، منشورات الجمل.

نيتشه، فريدريك،(2012) عدو المسيح،(ت) جورج ديب، دار الحوار، دمشق.

هنا، غانم،(2007) مفهوم الحرب بين نيتشة و هيدجر، مجلة عالم الفكر، العدد 2 المجلد 36، المجلس الأعلى للثقافة ، الكويت.

هوبز، توماس،(2011) الليفاثان "الأصول الطبيعية و السياسية لسلطة الدولة"، (ت) ديانا حبيب و بشرى صعب، هيئة أبوظبي للثقافة، أبو ظبي.

هوندرتش. تد "محررا"،(2005) دليل أكسفورد للفلسفة، (ت) نجيب الحصادي، المركز الوطني للبحث العلمي، بنغازي.

هيغل،(1996) أصول فلسفة الحق (ج1)، (ت) إمام عبدالفتاح، مدبولي، القاهرة.

2- المراجع الأجنبية

Bird, Colin,(2006) An Introduction to Political Philosophy, Cambridge University Press.

Fischer, Eurt ,(1973) Nazism as a Nietzsche an Experiment, De Gruyter ,Volume 6:Issue 1.

Langan, john ,(1984) the Elements of ST. Augustine's just war theory, The Journal of Religious Ethics, Vol. 12, No. 1.

May , Larry ,(2012) After war ends, Cambridge university press.

Moseley, Alexander,(2002) A philosophy of war, Algora Publishing.

Taha, Apir ,(2005) Nietzsche, Prophet of Nazism the Cult of the Superman, AuthorHouse.